بحث
٣

حول العلاقات السياسية والحضارية بين الأندلس وبيزنطة
(٢٢٥ - ٣٥٠ هـ/٨٣٩ - ٩٦١ م)

للدكتور
سعيد سيد أحمد أبو زيد
مدرس التاريخ الإسلامى
كلية الآداب - جامعة المنوفية

تمهيد

يكمن التقارب والتباعد بين القوى السياسية الموجودة على الساحة الدولية فى تلك الفترة، إلى تقارب أو تباعد المصالح المتبادلة بين تلك الأطراف، وتوجهات كل من هذه القوى، وبالتالى تحديد عدوها، فكانت الدولة العباسية فى بغداد، والدولة الأموية فى قرطبة، والدولة الفاطمية فى المغرب، هى القوى الإسلامية النشطة فى ذلك الوقت ، وهى في نفس الوقت، قوى متنافرة، كل منها يتخذ من الآخر، عدواً له لاختلاف وجهتهم السياسية، فالدولة العباسية تطارد بنى أمية وتعاديهم، وبنى أمية فى قرطبة يتعرضون للهجمات والتشيع من قبل الفاطميين فى المغرب، والدولة الفاطمية دولة شيعية، ترى نفسها على نقيض من الدولتين العباسية والأموية السنيتين .

أما القوى الأوربية النشطة، فكانت هى الامبراطورية البيزنطية، ودولة الفرنجة، وكلاهما على النقيض، فى حالة شد وجذب لخلافات سياسية، وكانت بيزنطة فى حالة صراع دائم مع الدولة العباسية، وخط الحدود بينهما خط صراع وليس إلتقاء، كذلك كانت دولة الفرنجة فى حالة صدام مع بنى أمية فى الأندلس، وخط الحدود بينهما أيضا هو خط صراع وليس إلتقاء ولذلك كان تقارب بنى العباس مع الفرنجة من أجل تحطيم بنى أمية فى الأندلس، وكان تقارب بنى أمية فى الأندلس مع بيزنطة من أجل دفع هذه الأخطار من قبل الفرنجة وبنى العباس .

وبنظرة سريعة على هذه العلاقات السياسية بين تلك القوى نستطيع أن نتبين أسباب التقارب والتباعد بينها .

عندما سقطت الدولة الأموية فى المشرق سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، واستطاع عبد الرحمن الداخل أن يتجه إلى الأندلس فى سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٥ م، ويكون دولة لبنى أمية فى الأندلس، وقد استغل الامبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس Constantin V ، هذا الصراع الداخلى فى العالم الإسلامى، بين العباسيين والأمويين، وأخذ يعمل على تحصين حدود بلاده الشرقية وترسيخ سلطته (١) وقد ترتب على قيام الدولة العباسية فى بغداد أن تحول مركز قيادة العالم الإسلامى من دمشق إلى بغداد، وكان الانتقال من دولة إلى دولة هو الانتقال من عالم بحرى يهتم بالنظر إلى الغرب إلى عالم برى أسيوى يهتم بالنظر إلى الشرق، بعدما قلل العباسيون من نشاطهم فى البحر المتوسط، وأصبحت شواطئه فى نظرهم، حدود أو نهايات

(1) Jenkins (R.) : Byzantium the Imperial Centuries, 610 - 1071 A.D., London, 1966, p.70 .

لدولتهم ينبغي حمايتها، لا أبواب وثغور يمكن القفز منها إلى ما وراء البحر [١] ، وهكذا ظهرت استراتيجية عسكرية إسلامية جديدة فى المشرق تقوم على الدفاع لا الهجوم، وربما يعود هذا إلى عدة عوامل منها : عدم اهتمام العباسيين بإنشاء اسطول بحرى قوى يضارع الأسطول الأموى، وأيضا مناوأة أهالى الشام للعباسيين لأنهم كانو لايزالون على ولائهم لبنى أمية إضافة إلى ذلك أن الدولة العباسية، كان عليها أن تبذل كثيراً من الجهد للسيطرة على أراضيها وتأمين حدودها، فإلتزمت سياسة الدفاع، والاهتمام بداخل الدولة وتقويتها، أكثر مِن العمل على التوسع الخارجي، خاصة بعد ما فقدت الأندلس للأبد، وقام فيها حكم بنى أمية[٢].

كان الصدام العسكرى بين العباسيين والبيزنطيين مستمراً، يكاد لايخلو منه عام، فإن لم يكن متبادلا بينهما، فعلى الأقل من أحدهما، وكان خلفا، بنى العباس وأبناءهم يخرجون إلى غزو أرض الروم [٣]، وقد وقعت صدامات كبيرة بين الطرفين، خاصة فى سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م عندما خرج ثيوفيل بن ميخائيل الثانى امبراطور بيزنطة ، إلى بلاد الإسلام وأوقع بأهل زبطرة وملطية وغيرها ، مما استدعى خروج المعتصم العباسى إليهم، وتوجهه إلى مدينتهم عمورية، مسقط رأس ثيوفيل، فضربها بالمجانيق وهدمها وأحرقها فى رمضان ٢٢٣ هـ/يوليو ٨٣٨م [٤] .

عندما جاء باسيل الأول (٨٦٧ - ٨٨٦م/ ٢٥٣ - ٢٧٣هـ) إلى حكم الامبراطورية اندفع يهاجم أراضى الدولة العباسية، فاستولى فى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، على زبطرة وسميساط، ومع ذلك تعرض لهزيمة ساحقة عندما حاول الاستيلاء على حصن ملطية الذى يعتبر من المعاقل الهامة [٥] ورغم هذه الهزيمة استمر البيزنطيون فى مهاجمة أراضى

---

(١) حسين مؤنس : تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩١م، ص ٥٥، ٥٦ .

(٢) ساليفان (.I) : ورثة الامبراطورية الرومانية (الغرب الجرمانى - العالم الإسلامى - الدولة البيزنطية) . ترجمة وتقديم د/ جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٥م ، ص ٩٩ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٩م، ص ١٤٤ - ١٤٦، ١٥٢، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ٥، تحقيق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٥م، ص ٦٣، ٦٥ ، ١١٨ .

(٤) ابن الأثير : نفس المصدر، ص ٢٤٦ - ٢٥٠ ، وانظر ، Bury (J.B.) : AHistory of the East-ern Roman Empire, London, 1912, PP. 250, 262 .

(5) Ostrogorowski (G) : History of the Byzantine state, Trans, Joan Hus sey Oxford, 1956, P. 165 .

العباسيين، لكن العباسيون بادلوهم الهجمات وخربوا وأحرقوا وأسروا (١) وكان للحمدانيين دور بارز فى ذلك (٢) .

وهكذا استحكم العداء بين العباسيين والبيزنطيين، وتحولت مناطق الحدود المشتركة بينهما إلى مناطق عسكرية، شهدت كثيرا من الصدامات فكان لابد للطرفين من البحث عن حلفاء، فوجد العباسيون ضالتهم فى دولة الفرنجة، كما وجد البيزنطيون ضالتهم فى دولة بنى أمية بالأندلس وكان العمل الدبلوماسى الذى تحقق فى عهد هارون الرشيد هو التقارب بينه وبين الامبراطور شرلمان (ت ٨١٤م/ ١٩٩هـ)، وكانت ظروف كل من العاملين، وأهدافهما، تملى هذا التقارب وتحتمه (٣) فقد وثق شرلمان علاقته بالبابوية، فتوجه البابا ليو الثالث امبراطوراً عندما وضع على رأسه التاج الامبراطورى فى كنيسة القديس بطرس فى عيد الميلاد سنة ٨٠٠م / ١٨٤هـ(٤) ، وقد أوضح هذا التتويج أن الأدوار متعارضة، وأن دور شرلمان هو مساندة الكنيسة بسلاحه (٥). وكان شرلمان يشعر بأن الامبراطورية البيزنطية لن تنظر إلى هذا التتويج بعين الرضا والارتياح، بل بنظرة العداء الشديد، وهذا ما حدث فعلا (٦) إذ رأت الحكومة البيزنطية فى هذا التتويج خروجا على الحاكم الشرعى بالقسطنطينية، لكن واقع الحال أصبح يقول بوجود امبراطوريتين إحدهما شرقية والأخرى غربية، وترسخ الانفصال بينهما، فأصبحتا عالمين مختلفين فى اللغة والحضارة والجنس(٧) ، واتجهت العلاقات بين الامبراطوريتين إلى العداء السافر، حتى أنه عندما ما طلب الامبراطور البيزنطى مساعدة لويس التقى (ت ٨٤٠ / ٢٢١هـ) امبراطور الغرب، ليهاجم المسلمين فى مصر والشام، فشلت سفارته إليه ولم تؤد إلى نتائج (٨) ، بل وجدنا بيزنطة تضع عدوها اللدود وهى

(١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، جـ١٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٦، ٢٧، وانظر، السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٤١٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦، ص ٣٣٤، ٣٥١، ٣٥٨، ابن الجوزى، نفس المصدر، ص ١١٤، ١٣٣،

(٣) حسن محمود وأحمد الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، ط٥، بدون تاريخ ص ١٦٩ .

(٤) فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، والسيد الباز العرينى، دار المعارف بمصر ، ط٦، ١٩٧٦م، ص ٩٠ .

(٥) موريس كين: حضارة أوربا العصور الوسطى، ترجمة د/قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص ٣٥ .

(٦) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ ، ص ١٧٣ .

(7) Ostrogorowski : History of the Byzantine, P. 165 .

(8) Bury: AHistory of the Eastern Roman, P. 273 .

الدولة العباسية فى مكانه تعلو مرتبة الملوك المسيحيين فى الغرب مما يبين لنا إلى أى مدى وصل العداء بين بيزنطة وملوك الغرب (١) ، فى مقابل تقارب بين العباسيين والفرنجة، جاء على يد العاهلين هارون الرشيد وشرلمان، عندما اتفقا على عدائهما لحكام القسطنطينية وأمراء قرطبة الأمويين(٢) .

أما العلاقة بين الأمويين فى الأندلس والفرنجة، فقد اتسمت بالعداء منذ بداية دولة بنى أمية فى الأندلس، عندما أقدم الفرنجة على تكرار هجماتهم على الأندلس، وتصدى أمراء البلاد لهذه الهجمات، فضلا عن جهود جماعات البحريين (٣) الأندلسيين ضد الفرنجة، والذى كان مركزهم الرئيسى فى طرطوشة وما يليها جنوباً حتى بلنسية (٤) ، وقد تصدوا للفرنجة بل وأغاروا على طول سواحلهم دون خوف فأرسلوا فى سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٨م أسطولا من طركونة Tarragona إلى مرسيليا، مزود بفرق خاصة من جزر البليار (٥) ، وفى سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م، بعث عبد الرحمن الأوسط جنده إلى أرض الفرنجة وانتهوا إلى أرض بربطانية، يقودهم موسى بن موسى عامل تطيلة Tudela، الذى أنزل بعدوه الهزيمة ثم عاد (٦) ، وفى

---

(١) الباز العرينى : الدولة البيزنطية، ص ٤٢٤ .

(٢) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية، ص ١٧٨ .

(٣) **جماعات البحريين** * هم رجال بحر وأهل غزو من الأندلسيين، عرفوا بمهارتهم البحرية، وغزواتهم فى حوض البحر المتوسط الغربى، وهم يعتمدون فى حياتهم ومعاشهم على ما يغنمونه فى غزواتهم لسواحل أوربا الجنوبية وجزر البحر المتوسط، وتذكرهم المصادر الأجنبية باسم «قراصنة العرب»، وبعد ثورة أهل الربض فى قرطبة وطرد الحكم لهم منها، خلط البعض بين البحريين الأندلسيين وبين الربضيين، وقد استغل البحريون حالة الفوضى فى مصر وسيطروا على الإسكندرية سنة ٢٠٠هـ، حتى تمكن عبد الله بن طاهر من طردهم منها سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٨م. فتوجه الأندلسيون إلى إقريطش، وأقاموا هنالك دولة بقيادة أبى حفص عمر بن شعيب البلوطى، وأخذوا يسببون المتاعب للدولة البيزنطية، وغزوا ما حولهم من جزر صغيرة، وفتحوا معظمها، حتى تمكن البيزنطيون فى النهاية من حصار إقريطش واستردادها سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م (ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الابيارى، دار الكتب الإسلامية، القاهرة/بيروت، ط١ ، ١٩٨٢م. ص ٦٩، ابن خلدون: كتاب العبر وديون المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، جـ٤، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٧٤ ، وانظر، العبادى وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط، جـ٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ٦٧وما بعدها، Provencal : Histoire de, L' Espagne Musulmane, Tome I,Paris, Leiden, 1950, P. 172).

(٤) العبادى وسالم : تاريخ البحرية الإسلامية ، جـ٢، ص ١٥٠ .

(٥) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٢٢٩ .

(٦) ابن خلدون: كتاب العبر، جـ٤، ص ٢٨٠، المقرى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ١، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م، ص ٣٤٥ .

سنة ٢٧٧هـ/ ٨٤١م، خرج عبيد الله بن عبد الله صاحب الصوائف، فلما كان بين أربونة وبربطانية، أحاط الفرنجة به ليلا فقاتلهم وهزمهم(١) ولما كانت سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م، غزا عبد الكريم بن مغيث حاجب عبد الرحمن الأوسط بلاد برشلونة ثم عبر جبال البرتات إلى بلاد الفرنجة فقاتل الفرنجة وحاصر مدينتهم العظمى «جرندة» Jerona ثم عاد إلى الأندلس محملا بالغنائم والأسرى(٢).

وفى سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٧م، أرسل عبد الرحمن الأوسط سفارة إلى بلاد الفرنجة لعقد اتفاقية سلام وصداقة مع شارل الأصلع Charles le Chsuve عاهل الفرنجة(٣) بغية التخفيف من حدة العداء بين العاهلين، وهى السفارة التى ربما قام بها الرجل المعروف باسم القصبى، والتى أشار إليها ابن القوطية بقوله : «أن رجلا يعرف بالقصبى، كانت له وجهة، وكان يوفده عبد الرحمن بن الحكم إلي قارله، ملك الفرنجة، وإلى ملك الروم»(٤) ، مما يؤكد أن عبد الرحمن الأوسط كان يسعى لسلام مع جيرانه بغية استقرار بلاده، وقد توجت سفارة القصبى بتوقيع عقد صلح واتفاق سلام بين العاهلين (٥).

وفى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، استطاع أن يحتفظ مع شارل الأصلع بعلاقات الود والصداقة وتبادل معه الهدايا، رغم هجوم مغامرو المسلمين من الأندلسيين على سواحل فرنسا واتخاذهم لقواعد شبه دائمة لأنفسهم فى جزيرة كامرج Camargue عند مصب نهر الرون، وتوغلهم للداخل حتى بلغوا آرل وأسرهم لأسقفها سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م، كذلك استقرارهم الدائم عند خرائب مدينة ماجلون مما اضطر شارل الأصلع إلى توقيع صلح مهين سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، ليوفر بعض الراحة لسكان هذه المنطقة من فرنسا(٦)، وكان شارل قد استقبل سفارة أندلسية سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م، وأخرى فى سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، كما تسلم رسالتين من العاهل الأندلسى مع هدايا ثمينة، كذلك استقبل الأمير محمد سفارة فرنجية سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م. قبل هداياها، وفيها تم عقد معاهدة صلح وسلام (٧).

(١) ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، جـ٢، تحقيق ج.س كولان وليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م. ص ٨٦ .

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر، جـ٤، ص ٢٨٢، المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ٣٤٦ .

(٣) محمد أحمد أبو الفضل : حول السفارات الأندلسية إلى دول أوربا (١٣٨ - ٣٦٦هـ/ ٧٥٥ - ٩٧٦م)ص ٥٩ (مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، المجلد ٣٢ لسنة ٨٣ / ١٩٨٤م) .

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) محمد أبو الفضل : حول السفارات الأندلسية ، ص ٦٠ .

(٦) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٢٣٠ .

(٧) محمد أبو الفضل : حول السفارات الأندلسية ، ص ٦١ .

استمرت العلاقات بين الأندلس والفرنجة تتأرجح بين السلم والحرب، فعندما تولي عبد الرحمن الناصر حكم الأندلس، أخذ يرسل الصوائف ليحد من نشاط النصارى فى الشمال، كما وطئت عساكره بلاد الفرنجة[١] ولعلو هامة الأندلس فى عهد الناصر، سعى الأباطرة والملوك يخطبون ود خليفة قرطبة، فجاء إليه رسول كلدة ملك الفرنجة ومعه ملك برشلونة وطركونة راغبا فى الصلح ، فاحتفل الناصر لقدومهم وأجابهم إلى طلب الصلح، كما وصل بعده رسول صاحب رومه يخطب الود والصلح، فتم له ما أراد[٢] .

أولا : العلاقات السياسية بين الأندلس وبيزنطة :

فى عهد الإمارة :

سبق القول فى كيفية تدنى العلاقات بين الدولة الأموية فى الأندلس ودولة بنى العباس فى بغداد، وكذلك تدنى تلك العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية وامبراطورية الفرنجة، وسعى كل منهما إلى كسب الحلفاء فتوجهت بيزنطة نحو الأندلس وتوجهت الدولة العباسية نحو الفرنجة .

وكانت الدولة البيزنطية تعانى أمورا مضطربة فى المشرق، وفى البحر المتوسط، بسبب الدولة العباسية التى تبادلها الهجمات على مناطق الحدود، وفى حوض البحر المتوسط، كان مغامرو الأندلسيين الذين استقروا فى إقريطش (كريت) بعد أن طردهم عبد الله بن طاهر من الإسكندرية[٣] وعبثا حاولت بيزنطة استعادة هذه الجزيرة من يد المسلمين، والتى استمرت فى أيديهم نحو قرن ونصف القرن من الزمان[٤]، وبينما كان البيزنطيون يحاولون استخلاص هذه الجزيرة، اشتدت هجمات المسلمين على صقلية، حتى استطاع المسلمون من الأغالبة – حكام تونس – السيطرة على مدن وحصون وقلاع الجزيرة، فسقطت بالرمو – سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م، وانتهى الأمر بسقوط مسينى سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م وأصبحت صقلية كلها تحت حكم المسلمين[٥] .

---

(١) ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ٤، ص ٢٩٨ .

(٢) المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ٣٦٦ – كلدة ربما هى تحريف لكلمة "كارله" أى «تشارلز البسيط» Charles the Simple الذى توفى فى ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، قبل تاريخ السفارة التى جاءت للناصر فى سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م. وكان ملك الفرنجة فى الجزء الغربى من الامبراطورية فى وقت تلك السفارة هو «لويس الرابع Louis IV ابن تشارلز البسيط، مركيز تسكانيا : Abdurrahman A. El-Hajji Andalusian Diplomatic relations with the Franks during the Umayyad period, Islamic studies, Vol VI, No.1, March, 1976. Pakistan, P. 29 .

(3) Bury : A History, PP. 287-289 .

(4) Ostrogorowski : History of the Byzantine, P. 183 .

(5) Bury : A History PP. 304-308 .

أدرك الامبراطور البيزنطى أمام ما حل ببلاده على يد المسلمين سواء من بنى العباس أو من مسلمى الأندلس وإفريقية، إنه لا قبل له بقوة المسلمين المتزايدة فى البحر المتوسط، فعزم على أن يلتمس العون من الدول الأخرى، فأرسل الامبراطور ثيوفيل الرابع Theophilus IV فى سنة ٢٢٥هـ - /٨٣٩ ٨٤٠م، إلى عبد الرحمن الأوسط سفيرا يسمى كراتيوس Kratiyus(١) وكان هذا السفير كما يقول ابن خلدون محملا «بهدية ويطلب مواصلته»(٢) وذلك من خلال رسالة، سأله فيها أن يعقد معه معاهدة صداقة ويحرضه على استرجاع ملك أجداده فى الشام الذى غصبه العباسيون، ويطلب استخلاص إقريطش ممن استولى عليها من الأندلسيين وردها إلى دولة الروم، وقدأنحى فى رسالته باللوم والتحقير على الخليفة العباسى المأمون وأخيه المعتصم، حينما ذكرهما بـ «ابنى مراجل وماردة»(٣) دون أن يذكرهما باسميهما الحقيقيين أو بلقبيهما الشرفيين، وذكرهما باسم ابنى مراجل وماردة، وهما امرأتان كانتا أمتين لهارون الرشيد، وأنجبتا ولدين تواليا العرش من بعده (٤). ويرى الدكتور حسين مؤنس، أن دافع الامبراطور البيزنطى إلى هذا المسعى كان خوفه من نوايا المعتصم، الخليفة العباسى، الذى استولى على عمورية مهد البيت البيزنطى الحاكم، وقد دفع الخوف ثيوفيل إلى إرسال سفارتين أخريتين إلى لويس التقى، والثانية إلى البندقية يستصرخهما لعونه على العباسيين(٥) وبالطبع ضد مسلمى إقريطش وصقلية، ولكن السفارة إلى عبد الرحمن الأوسط لم تؤد إلى نتائج(٦) .

ونرى أنه من الطبيعى ألا تؤدى هذه السفارة إلى نتائج، فبرغم ما عرف من عداء بين بيزنطة والفرنجة، إلا أن الامبراطور البيزنطى أرسل يطلب معونتهم ضد المسلمين فى إقريطش وصقلية، ورغم علمه بالعداء بين الفرنجة والأندلسيين، خاصة فى فترة عبد الرحمن الأوسط، الذى أرسل غزوات كثيرة إلى بلاد الفرنجة فقتل وأسر وسبى وحاصر مدينتهم العظمى «جرندة»(٧) أرسل يطلب عون الأندلسيين ضد مسلمى إقريطش وصقلية، وامبراطور

---

(١) مؤنس : تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط ، ص ١٤٦

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ٤، ص ٢٨٢ .

(٣) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١، تحقيق د/ شوقى ضيف، دار المعارف بالقاهرة، ط٣، ١٩٧٨م، ص ٤٨، المقرى : نفح الطيب، جـ١ ، ص ٣٤٦ .

(٤) بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ١٠١، ١٠٢ .

(٥) مؤنس : تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، ص ١٤٦ .

(٦) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٢٢٩ . Bury : A History, P. 273

(٧) المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ٣٤٥، ٣٤٦ .

بيزنطة في كلتا الحالتين يريد أن يحقق مصلحته أولا،فتغاضى عن الخصام مع الفرنجة، أملا أن يقف أمير الأندلس ضد المسلمين في إقريطش وصقلية، مستغلا كون هذه المناطق تتبع الفاطميين والدولة العباسية، حيث يعرف العداء التقليدى بين الأمويين من جهة وبين العباسيين والفاطميين من جهة أخرى، لكن هذه السياسة يبدو أن عبد الرحمن الأوسط كان يعرف أنه لاناقة له ولا جمل في ذلك، وهو ما يؤكده الدكتور/ محمد أبو الفضل بقوله «ولما وقف الأمير عبد الرحمن الأوسط على مضمون هذه الرسالة لم يبد اهتماما كبيراً بها لعلمه بالأسباب التى دعت ثيوفيل إلى ذلك»(١) وما كان من الأمير إلا أن رد ردا جميلا، ولم يحقق لامبراطور بيزنطة ما أراد ، وإن كان قد واصل السلم معه، عندما أرسل بعثة دبلوماسية إلى الامبراطور ثيوفيل تتكون من يحيى بن حكم المعروف بالغزال (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)(٢) ومعه رجل يسمى يحيى صاحب المنيقلة، وهما شخصيتان متخصصتان في العلوم البحتة، وعهد إليهما بالرد على العاهل البيزنطى(٣) .

كانت الامبراطورية البيزنطية تظهر أمام السفراء الأجانب على أحسن حال ويصور لنا ذلك رنسيمان بقوله : «وكان الطابع الظاهرى للدبلوماسية البيزنطية عبارة عن رسميات جامدة، يراد من ورائها رفع كرامة الامبراطور وهيبته، فإذا وصل سفير أجنبى إلى القسطنطينية حوصر بكل أنواع آداب السلوك - وذلك للتأكيد عليه إلى حد كبير بأنه لا ينبغى له بأن يلتقى بأى شخص غير مفوض - فإذا أدخل إلى الحضرة حيى طبقاً لمراسم موضوعة واستقبل بالدور حسب ترتيب بلاده في الأهمية»(٤) وكان أى سفير طوال الوقت تحت مراقبة دقيقة حتى لايرى إلا ماتريده الامبراطورية، حيث لم تكن ثمة حصانة دبلوماسية لمن يحقر الكرامة الامبراطورية أو يمس العادات التى يوصى بها البلاط الامبراطورى(٥) .

وصلت بعثة الغزال إلى القسطنطينية فى سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م(٦) وقد استطاع الغزال بما عرف عنه من أنه «جليل فى نفسه وعلمه ومنزلته عند أمراء بلده»(٧) أن يحكم القول ،

---

(١) محمد أبو الفضل : حول السفارات الأندلسية، ص ٧٣ .

(٢) الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، وأسماء رواة الحديث وأهل الفقة والأدب وذوى النباهة والشعر، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، بدون تاريخ ، ص ٣٥٣ .

(٣) بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس، ص ١٠٠ .

(٤) رنسيمان : الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٨٧ .

(٥) نفس المرجع، ص ١٨٦، ١٨٧ .

(٦) العبادى وسالم : تاريخ البحرية الإسلامية، جـ٢، ص ١٥٩ .

(٧) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٥١ .

وينفذ ماقاله أميره عبد الرحمن الأوسط عندما طلب منه أن يذكر الامبراطور بأنه سوف يرسل إليه أسطولا إذا ما هدأت الأمور فى بلده[١] وقد نجح الغزال فى مهمته، حيث إنه «أحكم بينهما المواصلة، وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند منازعيه من بنى العباس»[٢].

ويتناول بروفنسال تفنيد هذه الرسالة والتعليق عليها، فيذكر أن ما طلبه ثيوفيل من الأمير الأندلسى من حيث مساعدته ضد مسلمى إقريطش وصقلية، فإن الأمير الأندلسى كان يملك من الحكمة وبعد النظر ماجعله يتخلص من شرك ثيوفيل، حيث أن الأمير الأندلسى فى تحديد موقفه من مغامرى الأندلسيين فى إقريطش، قد تبرأ منهم لأنهم خرجوا على طاعته ولم يعودوا من رعاياه، ومن ثم فلا يسأل عما فعلوه، ولذلك فهو يبيح للعاهل البيزنطى أن يطاردهم بقوة السلاح[٣] وبالنسبة للأغالبة، فلم يرد فى رسالة الأمير الأندلسى ذكر لهم مفضلاً بلا شك أن يبقى متحفظا حريصا، لأنه كان يعلم فى نفس الوقت أن ذلك من شأنه مظاهرة مشرك على توسيع رقعته فى دار الإسلام [٤].

على كل حال فإنه يمكن القول أن هذه السفارة وإن كانت لم تحقق أى عمل حقيقى بين الطرفين، ولم تثمر كما يقول أرشيبالدلويس «سوى كلمات الود والمجاملة»[٥] إلا أنها كانت تعتبر أول اتصال رسمى بين بيزنطة والأندلس، كما أنها نجحت فى إبرام اتفاقية ودية بين العاهلين البيزنطى والأندلسي فى حوالى سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م [٦].

ومنذ ولاية الأمير محمد الذى خلف أباه عبد الرحمن الأوسط فى حكم الأندلس، وخلفائه من بعده، حتى توليه عبد الرحمن بن محمد ، نلاحظ انشغالهم بأمورهم الداخلية، ولم تشر المصادر إلى تبادل سفارات بينهم وبين بيزنطة، وتفسير ذلك أن الأمير محمد، تولى أمر البلاد (٢٣٨ - ٢٧٣هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦م) وهى تعانى من الاضطرابات الداخلية والأخطار الخارجية، حيث انتشرت الثورات فى أنحاء البلاد مثل ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى، الذى جمع حوله المولدين فى غرب الأندلس، وأخذ يهاجم المدن الأندلسية، فهاجم كورة إشبيلية Sevilla وكورة لبلة Niebla كما دخل أكشونية[٧] وقد ساعدت هذه الظروف على ثورة عمر بن حفصون فى ببشتر Bobastro من كورة رية[٨] واستفحل هو الآخر

(1) Bury : AHistory, P. 273 .

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر، جـ٤، ص ٢٨٢، المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٣) بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس، ص ١٠٣، ١٠٤ .

(٤) نفس المرجع، ص ١٠٤ .

(٥) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٢٩ .

(٦) محمد أبو الفضل : حول السفارات الأندلسية . ص ٧٥ .

(٧) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٠ - ١٠٢ ابن سعيد: المغرب . جـ١، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٨) ابن القوطية : نفس المصدر، ص ١٠٣، ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٢، ص ١٠٥، ١٠٦ .

أمره، وكان الأمير محمد منذ بداية حكمه يرسل الصوائف ويخرج بنفسه متصديا للثوار، مثلما فعل فى طليطلة سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م[١] كما أنه تصدى للأخطار الخارجية التي تمثلت فى المجوس الأردمانيين الذين هاجموا الأندلس فى سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م [٢].

عندما تولى المنذر بن محمد (٢٧٣ - ٢٧٥هـ / ٨٨٦ - ٨٨٨م) أمر الأندلس وحاول التصدى لابن حفصون، لم يستطع أن يجابه هذا الثائر، حيث مات وهو محاصر له فى ببشتر فى صفر ٢٧٥هـ[٣] ، فلما كانت ولاية أخيه عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م)، كانت الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ، فالفتن فى كل مكان والثوار يتكاثرون[٤] حتى يقول الحميدى : «فى أيامه امتلأ الأندلس بالفتن، وصار فى كل جهة متغلب»[٥] خاصة ذلك الثائر الذى يصعب قياده وهو عمر بن حفصون الذى كان يأخذ الأمان ثم ينقضه[٦] ، وابن شاكر فى جيان، وبنى حجاج فى إشبيلية وقرمونة وماوالاهما[٧] وغيرهم ورغم تصدى الأمير عبد الله لهؤلاء الثوار إلا أنه لم يستطع أن يقضى عليهم تماما .

وعلى ذلك نجد أن خلفاء عبد الرحمن الأوسط قد شغلوا بأمورهم الداخلية وانصرف جل همهم إلى نشر الأمن فى ربوع بلادهم، فلم يخرجوا من حدود الأندلس، ولم يلتقوا بالفرنجة الذين كانوا يتربصون بهم، وإن استطاع فريق من المغامرين من موانئ الأندلس وأفريقية أن يخترقوا هضاب دوفينيه ثم عبروا جبل سنيس واستولوا على بيدموند وليجوريا وتوغلوا فى سويسرا حتى بحيرة كونستانس حيث أنشأوا مستعمرة لهم واستولوا فى فرنسا على فريجوس ومرسيليا وكرينوبل، وظلت نيس فى قبضتهم مدة طويلة [٨] .

هذه الاضطرابات التى عانى منها الأندلس، أضعفت من أمر البلاد والحكام ، حيث إنكفأ الجميع على حالهم، وبذلك أمنت منهم دولة الفرنجة ، وإن لم تأمن من بعض المغامرين كما أن حكام بيزنطة انصرفوا عنهم قليلا، حيث أحداث الشرق المتوالية والعاصفة، فلم تتعمق العلاقات السياسية والحضارية فيما بينهم فى تلك الفترة، اللهم إلا ما يمكن أن نتصوره من سفارة هنا أو هناك من أجل وصل الود لا أكثر، وإن لم تفصح المصادر عن ذلك ،

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢، ص ٩٤، ٩٥ .

(٢) نفس المصدر، ص ٩٧ .

(٣) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٣٢، الحميدى: جذوة المقتبس ، ص ١٢ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٢، ص ١٣٣، ومابعدها .

(٥) الحميدى : جذوة المقتبس، ص ١٢ .

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ . ص ١٢٢ .

(٧) نفس المصدر، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٨) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكى ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م، ص ٤٠٧ .

حيث أنه لايمكن أن نتصور بعد هذا الاتصال الرسمي الأول بين بيزنطة والأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط، أن العلاقات قد توقفت، فلابد من تواصل، خاصة أن الفترة من الاتصال الأول في سنة ٢٢٥هـ وحتى الاتصال الذي تم في عهد عبد الرحمن الناصر، في سنة ٣٣٦هـ، والتي أفصحت عنه المصادر، هي فترة طويلة تقدر بحوالي ١١١ سنة، لايمكن أن نتخيل معَ طول هذه الفترة انقطاع الاتصال والسفارات بين الدولتين مهما كانت الظروف الداخلية.

في عهد الخلافة :

اعتلى عبد الرحمن بن محمد كرسي الإمارة في الأندلس سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، «والفتنة قد طبقت آفاق الأندلس، والخلاف فاش في كل ناحية منها»(١)، لكن الأمير الشاب، أخذ يقوم بالغزوة تلو الغزوة للأماكن الثائرة، وطارد الثوار حتى طاعت له معظم المعاقل والحصون، واتبع في ذلك سياسة الرفق والتسامح مع الزعماء الذين أعلنوا الخضوع والتوبة(٢)، وقد بذل الناصر في سبيل ذلك كثيراً من الجهد والوقت والمال «حتى دانت له البلاد، وانقاد له أهل العناد»(٣)، في فترة وصل مداها الزمني نحو ٢٥ سنة من مدة ولايته التي استمرت نحواً من خمسين عاماً(٤).

بعد أن أخذ الناصر يطمئن على حال الأندلس الداخلي، أعلن الخلافة في سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، وتسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالناصر لدين الله(٥)، وأخذ يرفع من قدر الأندلس أمام العدو والصديق، فأظهر أبهة ملكه، وعظمة مبانيه، وتضخمت أموال جبايته حتى أنه قسمها إلى ثلاثة أقسام : قسم للجند والحروب، وقسم للبنيان، وقسم ينفق منه في غير هذين من المصالح ويخزن الباقي ذخيرة(٦).

وفي المجال الخارجي كان للناصر جولاته مع نصارى الإسبان يرد غزوهم، ويغزو بلادهم بنفسه، حتى كانت موقعة شنت منكش Semancas أو موقعة الخندق عند خندق مدينة شمنقة سنة ٣٢٧/٩٣٩م، وإصابة عبد الرحمن فيها، فآثر عدم الخروج بنفسه، لكنه لم يتوان عن إرسال

---

(١) مجهول : أخبار مجموعة، ص، ١٣٥،

(٢) Dozy : Histoire des Musulmans d, Espagne, Tomo II, 1930, P.103.

(٣) مجهول : أخبار مجموعة : ص ١٣٥.

(٤) الحميدي : جذوة المقتبس، ص ١٣.

(٥) نفس المصدر والصفحة، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، بدون تاريخ، ص ٢٤٥، وأنظر :

Provencal : Histoire de L'Espagne P.116; L'Espagne musulmane Au X siecle, institutions et vie sociale, Paris. 1932, P.45; Stanly Lane-poole; The Moors in Spain. London, P. 122.

(٦) ابن سعيد: المغرب، جـ١، ص ١٨٣.

الغزوات[١]، بل إنه أخذ يهاجم أراضى الفرنجة، حتى إنه «أوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنجة مالم يطؤوه قبل في أيام أسلافه»[٢] وكان هذا مدعاة إلى أن يطلبوا سلمه ويهادنوه، ولذلك كانت السفارة التى أرسلها ملك الفرنجة«كلدة» إلى عبد الرحمن الناصر، تعرض السلم والصلح وترغب فى المودة فأجابهم الناصر إلى ما طلبوا[٣]، ولم ينس الناصر الخطر الفاطمى فى المغرب، والذى كان يهدد الأندلس بالغزو الحربى أو المذهبى[٤].

لذلك كانت ثمرة جهود الناصر أن «هادته الروم، وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس ، وسائر الأمم. إلا وفدت عليه خاضعة راغبة »،[٥] وبذلك تبوأت قرطبة مركز الجاذبية الدبلوماسية فى العالم الإسلامى، حيث إن الدولة العباسية كانت قد دخلت فى دور انحلالها ، ولم تبلغ الدولة الفاطمية بعد ذروة نفوذها وقوتها ، فأستأثرت الأندلس بزعامة الإسلام، واتجهت إليها أبصار الدول النصرانية فى طلب المودة وعقد العلاقات الدبلوماسية[٦].

حرص ملوك النصارى على مد جسور الود مع خليفة الأندلس وخاصة ملوك القسطنطينية، الذين وضعوا نصب أعينهم تنمية العلاقات الودية مع الأندلس. يدفعهم إلى ذلك بقوة، تخوفهم من نوايا الفاطميين تجاه الدولة البيزنطية، خاصة بعد انتقال الفاطميين إلى مصر، وإدراكهم لمدى العداء بين الأمويين والفاطميين [٧] فأرادوا أن يتخذوا من أعداء الفاطميين، حلفاء لهم، أو على الأقل ضمان عدم مناصرتهم للفاطميين فكان توجههم إلى الأندلس، وحرصهم الدائم على تجديد مراسلاتهم إلى خليفة قرطبة، ولم يكن امبراطور القسطنطينية وحده الذى يسعى إلى توطيد العلاقات مع دولة عبد الرحمن الناصر، والتى كانت نموذجا يحتذى فى القوة والحكمة والثروة ، وإنما سعى إليه كذلك ملوك فرنسا والمانيا وإيطاليا[٨].

---

(١) المقرى: نفح الطيب،جـ١، ص ٣٥٣، Dozy : Histoire., II, PP. 155,156.

(٢) ابن خلدون: كتاب العبر، جـ٤، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩، المقرى: نفس المصدر، ص ٣٥٤.

(٣) ابن خلدون: نفس المصدر ، ص ٢٩٩ ، المقرى: نفس المصدر، ص ٣٦٦.

(٤) محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط ٢، ١٩٧٠م.ص ١٨٠ ، ١٨١.

(٥) المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص ٣٦٦.

(٦) عنان: تراجم إسلامية، ص ١٩٣.

(٧) مؤنس: تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، ص ١٤٧.

(8) Lane- poole:The Moors in Spain, London P.127.

ويبدو أن كيفية استقبال سفراء الدول كانت واحدة فى كل الحالات حيث كانت الحكومة في قرطبة Cordoba تحرص على إظهار أبهة الخلافة أمام أعين السفراء النصارى، لينقل كل سفير مارآه إلى بلده، مما يعلى من مكانة قرطبة وعظمتها فى عيون ملوك النصارى، فتزداد مهابة الخلافة ، وكان طبعيا أن تستدعى هذه الأبهة من قبل الناصر ، الصرف ببذخ، وهذا ماكان يحدث فعلا، من تلك الجباية التى كانت تبلغ فى العام خمسة آلاف آلاف دينار[١] .

وقد جرى العرف عند استقبال سفراء الدول القادمين برسائلهم وهداياهم، بأن يركب العسكر بالسلاح فى أكمل هيئة، كما يزين القصر الخلافى بأنواع الزينة و أصناف الستور، ويجلس الخليفة على سرير ملكه بقصر قرطبة، كما يجلس سائر أولاده عن يمينه ويساره، وكذلك يجلس الوزراء والحجاب، كل على حسب منازلهم صفوفا[٢]. فإذا ماتم ذلك فى أحسن صورة، يؤمر بالرسل فيدخلوا، حتى إذا ما رأوا ذلك، هالهم ووقع فى نفوسهم عظمة الخلافة، ثم يقتربوا ويقدموا رسائلهم ، وبين أيديهم هداياهم فإذا ما انتهوا من ذلك جلسوا، ثم يبدأ الأعلام من ذوى الشأن يتبارون بالخطابة وأنواع القول أمام الرسل، حتى إذا فرغوا من ذلك انصرف الرسل ومعهم أحد الأشخاص من ذوى الشأن يعينه الخليفة معهم كى يرافقهم ويصرف أمورهم[٣] .

فى عام ٣٣٦هـ/٩٤٧م. وفدت سفارة بيزنطية من قبل امبراطور القسطنطينية ، وهم يحملون كتب من ملكهم قنسطنطين ابن ليون أو قنسطنطين السابع Constantine VII والمعروف باسم«بروفيروجنيت Prophyrogenete" أى « لابس الأرجوان» إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر[٤] لتجديد المودة والصداقة بين البلدين ، وعندما وصل الرسل إلى الأندلس

---

(١) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، تحقيق د/أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، ١٩٧١م، ص ٥٩.

(٢) ابن خلدون: كتاب العبر ،جـ٤، ص ٣٠٩، المقرى: نفح الطيب ،جـ١، ص ٤٦٤.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٢، ص ٢١٣؛ المقرى: نفس المصدر، ص ٣٦٤ . ٣٦٥.

(٤) يذكر ابن عذارى هذه السفارة فى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م.وفدت سفارة بيزنطية من قبل امبراطور القسطنطينية ، وهم يحملون كتب من ملكهم قنسطنطين ابن ليون أو قنسطنطين السابع Constantine VII والمعروف باسم«بروفيروجنيت Prophyrogenete" أى « لابس الأرجوان» إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر لتجديد المودة والصداقة بين البلدين ، وعندما وصل الرسل إلى الأندلس يذكرها ابن خلدون فى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧مم(ابن خلدون: كتاب العبر، جـ٤ ، ص ٣٠٩)وينقل المقرى عن ابن خلدون نفس السنة وهى ٣٣٦هـ(المقرى: نفح الطيب،جـ١ ، ص ٣٦٤)، ثم يعود ويذكر هذه السفارة نقلا عن ابن حيان بأنها كانت فى سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م، ويتشكك فى ذلك بقوله:«وتقدم فى كلام ابن خلدون أنها ست وثلاثون، فالله أعلم أيهما أصح»(المقرى: نفح الطيب،جـ١ ، ص ٣٣٦) وكذلك نجد المراجع الحديثة تنقسم فى ذلك، فالدكتور حسين مؤنس يأخذ بتاريخ ابن خلدون لهذه السفارة وهو سنة ٣٣٦هـ(مؤنس: تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، ص١٤٧)، والدكتور السيد عبد العزيز سالم يؤكد أن السفارة البيزنطية الثانية في عهد الناصر كانت في صفر ٣٣٨هـ وأن السفارة الأولى كانت فى عهد عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٢٥هـ(السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٣١٥ . ٣١٦) ،وهو يأخذ برأى ابن حيان الذى نقله المقرى، علما بأن المقرى يذكر «بعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهدية حافلة ليؤكد المودة، ويحسن الإجابة ورجع بعد سنتين، وقد أحكم من ذلك ما شاء ، وجاءت معه رسل قسطنطين»(المقرى: نفح الطيب، جـ١ ، ص ٣٦٥) ، وهذا يؤكد أنه كانت هناك سفارة فى سنة ٣٣٦هـ، وأخرى فى سنة ٣٣٨هـ، مما يؤكد حدوث السفارتين من الامبراطور البيزنطى للخليفة عبد الرحمن الناصر فى عامى ٣٣٦هـ و ٣٣٨ هـ.

أمر الخليفة أن يحسن استقبالهم وإكرامهم، حتى أنه أخرج إلى لقائهم ببجانة Pechina« يحيى بن محمد بن الليث، وغيره لخدمة أسباب الطريق فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة ، خرج إلى لقائهم القواد في العدد والعدة والتعبية، فتلقوهم قائدا بعد قائد، وكمل اختصاصهم بعد ذلك بأن أخرج إليهم الفتيين الكبيرين الخصيين، ياسراً وثماما، إبلاغا في الاحتفال بهم فتلقياهم بعد القواد »[1]، وقد أمر الخليفة بأن ينزلوا في منية نصر بربض قرطبة[2]، ورتب معهم الموالي والحشم لخدمتهم، حتى كان استقبالهم بقصر قرطبة في أفخم زينة[3]، وذلك في المجلس الزاهر، حيث جلس عن يساره، المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان، وتخلف عبد الملك لأنه كان عليلاً، كما حضر الوزراء على مراتبهم، يميناً وشمالاً، وعندما وصل رسل قنسطنطين وبين أيديهم كتاب ملكهم، وطائفة من الهدايا والألطاف، ودفعوا بكتابه، وهو في رق مصبوغ لوناً سماوياً، مكتوب بالذهب بالخط الإغريقي، وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضاً، مكتوبة بفضة بخط إغريقي أيضاً، فيها وصف هديته التي أرسل بها وعددها، وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح، وعلى الآخر صورة الملك قنسطنطين وصورة ولده، وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قنسطنطين معمولة من الزجاج الملون البديع، وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج، وكان في ترجمة عنوان الكتاب في سطر منه «قسطنطين ورومانس المؤمنان بالمسيح، الملكان العظيمان، ملكا الروم» وفي سطر آخر «العظيم الاستحقاق المفخر، الشريف النسب، عبد الرحمن، الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس، أطال الله بقاءه[4] ».

وقد رد الناصر على سفارة الإمبراطور البيزنطي بسفارة أندلسية برئاسة هشام بن هذيل-وكان من قسوس مستعربي الأندلس، ولهذا تسميه المصادر العربية باسم الجاثليق Catholicus- ومعه هدايا قيّمة بغرض تجديد المودة، وتأكيد الصداقة بين العاهلين، واستمرت مهمته نحو سنتين[5].

ويذكر ابن خلدون والمقرى، أن هشاماً بن هذيل عندما ذهب إلى القسطنطينية في سفارته سنة ٣٣٦هـ، وأحسن المجاز مهمته ورجع بعد سنتين «جاءت معه رسل قسطنطين»[6] ومعنى ذلك أن سفارة أخرى جديدة جاءت سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م. ويؤكد ابن عذارى أنه في هذا العام جاءت

---

(١) المقري : نفح الطيب، جـ١، ص ٣٦٦.

(٢) هذه المنية هي الجوسق النصري، الذي اتخذها أبو الفتح نصر الفتى الصقلبي بن أبي الشمول، أحد الشخصيات الأربع التي برزت في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، ومات مسموماً عام ٢٣٦هـ على يد الأمير بسبب تآمره عليه، وكانت في عدوة الربض بقرطبة، تشرف على النهر بجوار مقبرة الربض العتيقة (السيد عبد العزيز سالم: معالم قرطبة في شعر ابن زيدون، ص ١٢٦ (بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ق٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت).

(٣) المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ٣٦٧.

(٤) نفس المصدر.

(٥) ابن خلدون : كتاب العبر، جـ٤، ص٣٠٩، ٣١٠؛ المقرى، نفس المصدر، ص٣٦٥.

(٦) ابن خلدون : نفس المصدر، المقري : نفس المصدر.

سفارة، ويصفها بنفس أوصاف السفارة السابقة قبلها بسنتين، من حيث استقبال الناصر للسفراء وعندما حضروا دفعوا بكتاب ملكهم في رق مصبوغ سماوي، مكتوب بالذهب، وكان على الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح-عليه السلام- وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده(١)، وبذلك يؤكد لنا ابن عذارى مع ابن خلدون والمقري ورود هذه السفارة الثانية، وهو مايؤكد حرص امبراطور بيزنطة على توثيق الصلات مع خليفة الأندلس لغرض كان يريده، ويوضح باحث محدث أن السر في تبادل هذه السفارات «يرجع إلى أن قنسطنطين فكر وقتذاك في إعداد حملته الكبيرة ضد جزيرة كريت، فأراد بهذه السفارة، إما أن يحصل على مساعدة الخليفة الأموي، أو على الأقل يضمن حياده(٢)»

وكانت ظروف الامبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت صعبة، حيث كان اصطدامها بالفاطميين في البحر المتوسط وطلبهم الهدنة واستعدادهم لدفع الجزية للفاطميين(٣)، كما أنهم أخذوا في الاستعداد لمهاجمة جزيرة إقريطش، فأرسلوا أسطولهم إليها، فأرسل أمير المسلمين بالجزيرة عبد العزيز بن عمر بن شعيب يلتمس المساعدة من الفاطميين وأمراء الأندلس، فأرسل عبد الرحمن الناصر من قبله مبعوثين إلى الخندق، لكن إشتداد ضغط البيزنطيين على إقريطش، جعل تقديم المساعدة أمراً غير يسير، واستمر الحصار حتى سقطت الخندق سنة ٣٥٠/٩٦١م، وسقطت إقريطش كلها(٤).

وتشير المصادر إلى سفارة أندلسية أخرى خرجت إلى القسطنطينية في سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، كان على رأسها الأسقف ربيع بن زيد، لكن من الواضح أن غرضها الرئيسي كان جلب بعض السواري والتحف الرومانية القديمة لكي يضعها عبد الرحمن الناصر في مدينته الجديدة الزهراء(٥).

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٢، ص ٢١٥.

(٢) الباز العريني : الدولة البيزنطية، ص ٤٢٦.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٢٨، Dozy : Histoire., II, P. 159.

(٤) نفس المرجع، ص ٤٣٤ - ٤٤١.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٢، ص ٢٣١، المقرى : نفح الطيب. جـ١، ص ٥٦٦.

ثانيا : العلاقات الحضارية بين بيزنطة والأندلس :

إن الحديث عن هذا الجانب الحضارى بين بيزنطة والأندلس، تعوقة قلة المعلومات، وما يمكن أن نعتمد عليه ورود إشارات هنا أو هناك يمكن أن تفيد فى الحديث عن هذا الجانب، خاصة مايأتى فى ركاب السفارات المتبادلة بين الدولتين .

والحديث عن العلاقات التجارية بين الدولتين ، ينبغى النظر إليه فى ضوء طبيعة الحركة التجارية فى حوض البحر المتوسط، فهذه المنطقة مع نهايات القرن الثامن والربع الأول من القرن التاسع الميلادى ، خضعت للسيادة البيزنطية، التى فرضت سياسة اقتصادية يقظة على الأقاليم المطلة على البحرين المتوسط والأسود، مع رقابة تجارية وتقييد حركات التنقل ، بحيث تستمر فى حصر مرور التجارة الشرقية اللازمة لبيزنطة خاصة، ولبلاد الغرب عامة، عبر ثغر طربيزون على البحر الأسود، وهذه التجارة هى المستوردة من الوسطاء العرب فى بلاد فارس والعراق، وكانت هذه التجارة تخضع لإشراف دقيق ، حيث تأتى السلع للقسطنطينية أولا، وثمة بعض منتجات شرقية أخرى – منها المنسوجات الحريرية والتوابل – وصلت بيزنطة عن طريق بلاد الخزر إلى ثغر خرسون، الذى خضع لنفس الإشراف الدقيق الذى خضع له ثغر طربيزون . (١)

وربما حدثت هذه الرقابة من قبل بيزنطة فى مواجهة سفن التجار المصريين والسوريين إلى غرب البحر المتوسط، ومواجهة ما يكون للعباسيين فى ذلك ، أما الأندلس فمن المرجح أنه كان أبعد خضوعاً عن الإشراف التجارى لبيزنطة من أى أقليم آخر، ذلك لأن الأندلس كان حليفاً مهماً لبيزنطة ، وليس ببعيد أن يكون قد سمح للأندلس بالاتجار مباشرة مع الشرق دون أى تدخل بيزنطى(٢) وبذلك يمكن القول أن الأندلس كانت الدولة الوحيدة فى غرب البحر المتوسط التى لم تخضع لرقابة القسطنطينية التجارية فى ذلك البحر ، وبذلك جالت السفن حاملة التجارة الأندلسية والتجار الأندلسيين إلى شرق البحر المتوسط، وقد اشتهرت طبرقة بكثرة ورود المراكب بالأندلسيين، والتجار عليها، ونزولهم فيها(٣) .

ومعروف أنه كانت تتفرع من بيزنطة مسارات تجارية فى البحر المتوسط ، وهى تلك التى تتجه إلى صقلية وأمالفى ونابلى وبارى والبندقية وغيرها، ويبدو أن أهالى أمالفى ونابلى وجاتيا، نقلوا بضائع الشرق وتوابله وحريره إلى روما وبلاد الغرب ، كما نقلها مسلمو أفريقية إلى بلاد المغرب وربما إلى الأندلس(٤)، كذلك لعب المسلمون نفس الدور فى تصدير سلع الغرب

(١) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٧٦ .

(٤) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ١٨٩ .

الإسلامى، حيث كانت السلع القادمة من المغرب والأندلس وصقلية وأوربا عبر البحر المتوسط، تصل إلى ميناء الإسكندرية حيث كانت تحملها السفن القادمة من المغرب والتى تسير بحذاء الساحل المغربى والليبى، وترسو بثغور تونس وبرقة إلى أن تصل إلى الإسكندرية ومنها تبحر إلى بلاد الشام(١) وكانت هذه الرحلات تتم فى مواسم معينة وفى صورة قوافل ويبدو ذلك مرتبط بمواسم هبوب الرياح أو بمواعيد الأنواء، كما أنها تسير فى قوافل لضمان حراستها وعدم الاعتداء عليها(٢)، كما كانت هذه التجارة تسلك الطريق البرى، حيث تنقل تجارة الأندلس بحرا إلى طنجة ومنها عبر الشمال الأفريقى بحذاء الساحل حتى مصر وبلاد الشام ثم العراق وفارس حتى تصل إلى كرمان والهند والصين(٣)، ولاشك أن مسلمى الأندلس قد ساهموا بنصيب فى نقل التجارة الأجنبية إلى الشرق(٤) وبالمقابل كانت سواحل الأندلس تتلقى منتجات الشرق إما بواسطة قوافل تسير بحذاء الساحل الشمالى لأفريقية، وإما عن طريق سفن مصرية أو سورية أو غيرها كانت تتردد على موانئ الأندلس(٥).

ومن الجدير بالذكر أنه كان لليهود دور فى هذه التجارة – وأغلب الظن أنها اقتصرت عليهم – فقد عرف غرب أوربا خلال القرن التاسع الميلادى / الثالث الهجرى، أفرادا قلائل من اليهود، كانوا يتسربون إلى غالة عن طريق الأندلس، حاملين ماخف وغلا من الحاجات وترف المصنوعات الشرقية ، كنسيج الحرير الرقيق الذى كان يصنع فى الأندلس ومصر والشام وبلاد الدولة البيزنطية(٦)، ولما كان اليهود يعيشون على التجارة فقط، فإنهم كانوا يقيمون فى الحواضر، شأنهم فى ذلك شأن السوريين، وكانت مدن ناربون Narbonne ومرسيليا وآرلArles وجنوه ونابولى وبالرمو وغيرها مراكزهم المفضلة (٧).

وتشير المصادر التاريخية أن الأندلس تمتع منذ أواخر القرن التاسع وطوال القرن

---

(١) عبد العزيز سالم: البحرية المصرية فى العصر الفاطمى، ص ١٠٦ (بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار، ق١، دار الغرب الإسلامى، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م) .

(٢) نفس المرجع ، ص ١١٠ .

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، تحقيق دى غويه، مكتبة المثنى ببغداد ، بريل ١٨٨٩م ، ص ١٥٤ .

(4) Lewis Bernard : The Arabs in History, London, 1950,p.127.

(٥) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، جـ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م، ص ٢٣٨ .

(٦) مؤنس، تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، ، ص ١٢٧ .

(٧) هايد : تاريخ التجارة، جـ١، ١٩٨٥م ، ص ١٤٠ .

العاشر الميلادى/الثالث والرابع الهجريين، بازدهار صناعى وتجارى وصناعى كبير[١]، وظهور مدن جديدة كان لها شأن فى حركة التجارة الأندلسية مثل المرية Almeria التى أنشأها عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م،[٢] وقد ساهمت مدن الأندلس بنصيب كبير فى التجارة الخارجية ، فأهل إشبيلية كان «جل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب ، براً وبحراً»[٣] كما عمت شهرة حرير فحص البيرة الأندلس والآفاق[٤] وكان زعفران طليطلة يتجهز به إلى الآفاق ، وكذلك الصبغ السماوى[٥] وعرفت دلاية بالجنطيانا، وهو عقير رفيع بين الأدوية الترياقية، كان يصدر إلى جميع البلاد [٦]والمرية هى الأخرى التى اشتهرت بصناعة الوشى والديباج المختلف الأنواع والذى كان يسفن إلى جميع الآفاق[٧] ومنها كان يصدر الزئبق والزنجفر القادم من بلاد الأندلس إلى جميع الأقطار [٨].

وعلى هذا النحو كانت الأندلس بلداً عامراً بالمدن أكثر من بلاد المغرب، وصارت قرطبة حاضرة الأندلس زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر ومن كبريات مدن العالم الإسلامى، وذاع صيتها، ولوحظ أن الجهات الأكثر أهمية، والأكثر تقدماً فى الأندلس كان الركن الجنوبى الشرقى، أى الجزء المواجه للبحر المتوسط، وهذا يبين أهمية تجارة البحر بالنسبة للأندلس[٩] وخاصة المرية التى «كانت تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام ، ولم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالاً»[١٠] ، وقد علا ذكرها فى التجارة، فكانت بالنسبة للتجار «محط التجار»[١١] من جميع الأديان حيث يقول المقرى بأنها كانت مقصداً للتجار «من مسلم وكافر»[١٢] .

وقد تاجرت المرية مع بلدان الأندلس وغيرها، عن طريق الأسطول التجارى الإسلامى

(١) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٢٥٩ .

(٢) الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، مأخوذة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، تعليق ليڤى بروڤنسال، بدون تاريخ ، ص ١٨٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٩ .

(٤) نفس المصدر، ص ٢٤

(٥) نفس المصدر ، ص ١٣٣ .

(٦) ابن الخطيب : الإحاطة، جـ ١ ، ص ٩٨ .

(٧) ابن سعيد: المغرب ، جـ٢، ص ١٩٣، ابن غالب : فرحة الأنفس، ص ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٨) الإدريسى : صفة المغرب، ص ٢١٣، ٢١٤ .

(٩) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٢٦٠ .

(١٠) الحميرى : الروض المعطار، ص ١٨٤ .

(١١) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين، ص ٨٣ .

(١٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ٣ ، ص ٥٧١ .

فى البحر المتوسط، حيث تتم مبادلة المتاجر مع شمال أفريقية ومصر والقسطنطينية وسواحل البحر الأسود وفلسطين(١) وقد وصلت هذه التجارة إلى الهند ووسط آسيا عن طريق تجار بيزنطة(٢)، وقد ارتبطت المرية مع غيرها من موانئ البحر المتوسط بطرق بحرية سلكتها المراكب الحاملة للتجارة والتجار، واتصلت بحرياً بالثغور الإيطالية(٣) وكذلك القسطنطينية (٤).

فى تلك الفترة ، فرضت السيادة الإسلامية سيطرتها على البحر المتوسط ، وقد ترتب على هذه السيادة الإسلامية ، انعاش التجارة الدولية ، وجلب الرخاء إلى الأندلس وصقلية وشمال أفريقية ، كما ساعدت على تصنيع هذه البلاد، وكذلك ورث مسلمو المغرب وصقلية والأندلس إلى حد ما أعمال السوريين واليونانيين واليهود، وكان هذا بفضل التصنيع الجديد وبفضل القوة البحرية واحتكار نقل التجارة العالمية فى البحر المتوسط إلى الشرق الإسلامى(٥) .

ومما تجدر ملاحظته، أن هذه السيطرة الإسلامية لم يصاحبها أى محاولة من الشعوب الإسلامية لعرقلة أو التحكم فى التجارة الذاهبة إلى الامبراطورية البيزنطية أو الخارجة منها وظلت طربيزون وخرسون من أهم المنافذ التجارية البيزنطية (٦).

كما لعبت نابلى وغيرها من مدن أقليم كمبانيا دورها فى تصدير العبيد والمنسوجات للمسلمين، مما ينسجونه بأنفسهم أو مايستوردونه من القسطنطينية نظير حصولهم على زيت الزيتون والسلع الشرقية والمصنوعات التى يستطيعون أخذها من بلرم وشمال أفريقية والأندلس(٧) .

وهكذا لعب سكان المدن الإيطالية دوراً بارزا وربما كوسيط فى نقل التجارة بين الأندلس وبيزنطة والشرق الإسلامى، فعلى أرض المرية رست سفن البضائع من جنوه وبيزا(٨)، الذين قاموا بحركة تجارية نشطة مع المرية(٩) وكذلك رست مراكب فلورنسا بموانئ الأندلس(١٠) ، وفى المقابل رست سفن الأندلس فى الثغور الإيطالية خاصة فى جنوه

(1) Charles C. Forman : Cordova under Abd AL- Rahman III, P.30 (The Islamic Review, England, Vol XIIX, February, No 2, 1961) .
(2) Bernard : The Arabs , p. 127 .
(3) Heyd : Histoire du Commerce de levant au Moyen age, valume II, 1967, P .724 .
(4) Bernard : The Arabs, p. 127 .

(٥) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٦) نفس المرجع ص ٢٦٤، ٢٦٥ .

(٧) نفس المرجع ، ص ٢٧١ .

(8) Balbás : Almeria, Islámica, P. 444, (Al. Andalus, vol XXII, 1957).
(9) Heyd : Histoire, II , p. 724 .
(10) Heyd : Op. Cit, II, p. 725 .

وروما (١).

وجملة القول أن مسلمى الأندلس تعاملوا على نطاق ضيق جداً مع الغرب اللاتينى، ومنه بيزنطة، ومع أنهم قاموا بدور فى حركة التجارة فى حوض البحر المتوسط ، إلا أن المسلمين يبدو أنهم فضلوا ترك مثل هذا التعامل التجارى لمن رسخت أقدامهم فى هذا الميدان من سكان المدن الإيطالية واليهود، وحازت الأندلس ميزة حرية التجارة دون رقابة من بيزنطة نظراً لعلاقات الود والتفاهم بين الدولتين .

لم تقتصر العلاقات بين بيزنطة والأندلس على المجال التجارى، فقط، ولكن مثلت السفارات المتبادلة بين البلدين - والتى هدفت إلى إقامة علاقات الود والصداقة - رموزاً لعلاقات حضارية لها قيمتها خاصة فيما مثلته الهدايا المتبادلة بين الطرفين والتى وإن كان وصفها لم تشر إليه المصادر ، إلا أن بعضها كان يشير إلى وجود علاقات ثقافية، وبعضها الآخر يشير إلى اهتمامات معمارية .

ففى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وصل رسول الامبراطور ثيوفيل صاحب القسطنطينية إلى قرطبة سنة ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ - ٨٤٠م، وكان هذا الرسول ترجمانا بالبلاط البيزنطى، اسمه كراتيوس، وعندما جاء برسالته، كان يحمل هدايا إلى أمير الأندلس(٢) الذى استقبل الرسول بحفاوة بالغة، وكما يقول بروفنسال فإن هذه الهدايا «قد ملأت قلب الأمير الأندلسى سروراً بقدر مابعثت فيه من كبرياء»(٣) وهذا يدلل لنا على أن الامبراطور البيزنطى قد سعى جاهداً من أجل إقامة علاقات ود وصداقة مع الأندلس وقدم من الهدايا لأمير الأندلس ماييعث على سرور نفسه حتى تلين وتستجيب لمطالب الامبراطور البيزنطى، الذى لم يكتف بهذا الإغراء المادى، بل أبدى من الإغراء السياسى ما كان مستبعداً فى ذلك الوقت ، حيث ذكر الأمير الأندلسى بما «كان بين السلفين فى المشرق والأندلس»(٤) ، وتعهده بأن يستعيد له ميراث أجداده الأمويين فى بلاد الشام(٥)، لكن لمعرفة الأمير عبد الرحمن الأوسط بنوايا الامبراطور البيزنطى، رد الرد الحسن لتأكيد الصداقة دون الوقوع فى شرك العاهل البيزنطى، ولم يتوان فى إعادة الترجمان البيزنطى إلى القسطنطينية ومعه وفد إسلامى ،

(١) محمد عبد الله عنان : تاريخ العرب فى إسبانيا أو تاريخ الأندلس ، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١ ، ١٩٢٤م، ص ٢١١ .

(٢) بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس، ص ٩٧، عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، ص ٢١٥ .

(٣) بروفنسال : نفس المرجع، ص ١٠٠ .

(٤) ابن سعيد : المغرب، جـ١ ، ص ٤٨ .

(٥) بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس، ص ٩٨ .

مكون من شخصيتين لهما مكانتهما فى بلاط الأمير، ولهما من القدرة مايحققان به غرض السفارة، وهما يحيى بن حكم الغزال والآخر المعروف باسم يحيى صاحب المنيقلة(١) .

ولم ينس الأمير عبد الرحمن الأوسط أن يرد الهدية بالهدية إذا أرسل سفرائه إلى العاهل البيزنطى يحملان كتابا وهدايا نفيسة(٢) وعندما أديا مهمتهما بنجاح فى القسطنطينية – وقد أحسن الامبراطور وزوجته ثيودورا معاملة مبعوثى قرطبة – عاد السفيران وهما مثقلين بالهدايا إلى الأمير الأندلسى (٣).

أما فى عهد عبد الرحمن الناصر، فقد عرف عصره بالتقدم الحضارى فى جميع مناحى الحياة فى دولة الإسلام بالأندلس، واستطاع هذا الأمير الشاب أن يعيد إلى ربوع هذه الديار الاستقرار والطمأنينة، ووضع بلاده على قدم المساواة مع خلافة بنى العباس فى بغداد، عندما جعل من قرطبة مقراً لخلافة بنى أمية فى الغرب الإسلامى، وكان لقوة هذا الخليفة وعظمة دولته، أن سعت إليه دول النصارى لمحالفته ومخاطبة وده، بأنواع من الهدايا التى كان لبعضها أثر عظيم من الناحية الحضارية .

وقد دللت قرطبة على عظمتها فى تلك الفترة، بظهورها فى أبهى صورة، إذ اتسع عمرانها، الذى امتد إلى الضفة اليمنى من نهر الوادى الكبير Guadalquivir (٤) ، حتى أن المدينة من ضخامتها، انقسمت إلى قسمين كبيرين، أحدهما شرقى والآخر غربى(٥) وزاد عدد سكانها حتى قدر فى فترة حكم عبد الرحمن الناصر بحوالى نصف المليون نسمة (٦).

فى سنة ٣٦٦هـ / ٩٤٧م، وفدت سفارة بيزنطية من قبل العاهل البيزنطى قنسطنطين السابع، تحمل كتاباً وهدايا(٧)، ويذكر ابن أبى أصيبعة أن الناصر «كاتبه أرمانيوس الملك ، ملك قسطنطينة – أحسب فى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة – وهاداه بهدايا لها قدر عظيم، فكان من جملة هديته، كتاب ديسقوريدس، مصور الحشائش بالتصوير الرومى العجيب، وكان الكتاب مكتوباً بالإغريقى الذى هو اليونانى، وبعث معه كتاب هروسيس، صاحب القصص،

---

(١) بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٠٠ .

(٢) أحمد فكرى : قرطبة فى العصر الإسلامى، ص ٢٦١ .

(٣) بروفنسال : حضارة العرب فى الأندلس، ص ٨٢ .

(4) Provençal : L'E spagne Musulmane au X siecle, p. 199.

(5) Balbas : La Medina, los Arrabales y los barrios, p. 154 . (Al. Andalus, vol XVII, 1952) .

(6) Balbás :, Extension y demografia de las Cuidades hispanomusulmanas, p. 53. (studia Islamica, vol III, 1955) .

(٧) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٢ ، ص ٢١٣، المقرى : نفخ الطيب، جـ١، ص ٣٦٤، ٣٦٥ .

وهو تاريخ للروم عجيب ، فيه أخبار الدهور، وقصص الملوك الأول وفوائد عظيمة»(١)، ويرجح أن هذا الكتاب كان ضمن الهدايا التى قدمت للناصر مع سفارة سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٨م، ويرى ريبيرا، أن الامبراطور قنسطنطين السابع، أراد أن يستميل الناصر لحاجة فى نفسه، ففكر فى أن يهدى عبد الرحمن الناصر أحب شئ إلى قلبه فكان هذا الكتاب الجديد فى الطب ، وأهداه إليه فى مجلد رائع مكتوب بحروف مذهبه، ومزين بالرسوم الجميلة للأشجار التى ورد ذكرها فى الكتاب(٢) .

وقد كتب الامبراطور البيزنطى فى كتابه للناصر «إن كتاب ديسقوريدس لاتجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليونانى، ويعرف أشخاص تلك الأدوية ، فإن كان فى بلدك من يحسن ذلك، فزت أيها الملك بفائدة الكتاب، وأما كتاب هروسيس فعندك فى بلدك من اللطينيين من يقرأ باللسان اللطينى، وإن كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطينى إلى اللسان العربى» (٣)، ولم يكن عبد الرحمن الناصر يعرف الإغريقية، ولم يجد شخصاً متخصصاً فى هذه اللغة يقوم بترجمته له، فطلب من الامبراطور البيزنطى أن يرسل له عالماً من عنده، عارفاً بلغته وبالعربية ليقوم بترجمة الكتاب، فأرسل له من القسطنطينية الراهب نيقولا، الذى وضع نفسه فى خدمة الخليفة بمجرد أن وصل قرطبة فى عام ٣٤٠هـ / ٩٥١م (٤).

---

(١) ابن أبى أصيبعة : كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، جـ٢ ، المطبعة الوهبية، ط١، ١٨٨٢م، ص ٤٧ – وابن أبى أصيبعة فى هذا النص يذكر الهدية سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٩م، وأن الذى أرسلها هو «أرمانيوس الملك» والمقصود بأرمانيوس هو «رومانوس Romanus ابن قنسطنطين السابع ، الذى رفعه والده إلى مكانه الامبراطور فى يوم عيد القيامة فى ٦ أبريل ٩٤٥م/ رمضان ٣٣٣هـ، بعد أن انفرد بحكم بيزنطة، عندما نفى قسيمه فى العرش رومانوس ليكابينوس Romanus Lecapenus إلى جزيرة بروتى Prote ، بعد أن قام ولدى ليكابينوس وهما ستيفن وقنسطنطين بالقبض على والدهما، خوفاً من انتقال الحكم إلى قنسطنطين السابع، قسيمة فى العرش وذلك فى ١٦ ديسمبر ٩٤٤م/جمادى الأولى ٣٣٣هـ، لكن قنسطنطين السابع قبض عليهما فى ٢٧ يناير ٩٤٥م/ جمادى الآخرة ٣٣٣هـ، ونفيا ثم لقيا مصرعهما فى المنفى، كما ظل رومانوس ليكابينوس فى منفاه، حتى توفى هنالك فى ١٥ يونيو ٩٤٨م/ ذو الحجة ٣٣٦هـ (الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٤٠٩، ٤١٠)، ويذكر الدكتور حسين مؤنس، أن أرمانيوس الملك ، الذى أرسل كتاب ديسقوريدس وكتاب هروسيس Paulus Orosius سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٩م هو «ملك قسطنطينة رومانوس ليكابينوس (حسين مؤنس : تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، ص ١٤٨)، وهذا لايتفق مع سير الحوادث التاريخية التى ذكرناها فى السطور السابقة لبعد ليكابينوس عن الحكم سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م ووفاته فى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٨م .

(٢) خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية فى الأندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ، ترجمة د/ الطاهر أحمد مكى، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٩٠ .

(٣) ابن أبى أصيبعة : كتاب عيون الأنباء ، جـ٢ ، ص ٤٧ .

(٤) نفس المصدر .

ولكن يجب أن نؤكد أن قرطبة كان فيها من يعرف الإغريقية من الأطباء المسلمين واليهود، وكانوا يعرفون من خلال دراساتهم العميقة ، كل الأسماء التى وردت فى كتاب ديسقوريدس ، باستثناء عدد لايزيد على عشرة ونيف[١]، وما كان استدعاء الخليفة الناصر لعالم بتلك اللغة إلا ليؤكد أهمية الاستفادة القصوى من الكتاب، ونقل كل مافيه بدقة ، وحتى يستفيد منه علماء قرطبة .

وقد تألفت من الراهب نيقولا وبعض علماء الأندلس مايمكن أن نسميه «لجنة علمية» قامت بترجمة الكتاب، وتوضيح أنواع النباتات التى ذكرت فيه، واشترك فى هذه اللجنة الطبيب اليهودى حسداى بن شبروط، الذى كان يحظى بمنزلة طيبة عند الخليفة الناصر، وقد فسر كثير من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ، كما كان هناك الفيلسوف أبو عبد الله الصقلى، الذى كان يكتب ، ويتكلم اليونانية كأحد أبنائها، وله خبرة واسعة بالعقاقير، ورجل يعرف بالبسباسى، وأبو عثمان الخراز الملقب باليابسة، ومحمد بن سعيد الطبيب، وعبد الرحمن بن إسحق بن هيثم ، وطبيب اسمه محمد ويعرف بالشجار [٢].

مع دولة عبد الرحمن الناصر، دخلت الكتب الطبية من المشرق، فضلاً عن بقية العلوم الأخرى، وقامت الهمم، وظهر جيل من الأطباء المشهورين[٣]، كان منهم هؤلاء الذين اشتركوا فى اللجنة العلمية التى تشكلت لترجمة وتفسير كتاب ديسقوريدس، وقد أدرك هؤلاء النفر، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى، المعروف بابن جلجل، صاحب كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» وقد صحب هذا الجمع ومنهم الراهب نيقولا، الذى توفى فى صدر دولة الحكم الثانى «المستنصر بالله» (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م)[٤]، الذى اتسعت فى عهده وعهد ولده هشام المؤيد، دائرة العلوم الطبية ، حيث عرف عن الحكم الثانى أنه كان «جامعاً للعلوم ، محبا لها، مكرماً لأهلها»[٥] ، فكان ابن جلجل وتأليف كتابه السابق عام ٣٧٧هـ / ٩٨٧م، كما ألف عبد الرحمن بن إسحق بن هيثم كتاباً فى «المسهلات والمقيئات» ، وألف سعيد بن عبد ربه

---

(١) ابن أبى أصيبعة : كتاب عيون الأنباء ، جـ٢ ، ص ٤٧ ؛ وانظر ، ريبيرا : التربية الإسلامية ، ص ١٩١ .

(٢) نفس المصدر؛ وانظر ، على محمد راضى : الأندلس والناصر ، دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٧٦ .

(٣) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٩٧، ٩٨ .

(٤) ابن أبى أصيبعة : كتاب عيون الأنباء، جـ٢، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٥) ابن سعيد : المغرب ، جـ١ ،ص ١٨٦؛ عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د/محمد زينهم عزب، دار الفرجانى، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٣٦ .

كتاباً فى علاج الحميات، بل ومنهم من وضع بحثاً فى تطور الجنين (١).

وعندما شرع عبد الرحمن الناصر فى بناء مدينة الزهراء، أرسل سفارة أندلسية على رأسها الأسقف ربيع بن زيد القرطبى إلى القسطنطينية، فى سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م وكان غرض هذه السفارة ، جلب بعض السوارى والتحف الرومانية القديمة، ويذكر ابن عذارى أن ملك الروم أهدى الناصر مائه وأربعين سارية، وحوض غريب منقوش مذهب بالتماثيل لايقدر بثمن، وضعه الناصر فى بيت المنام فى المجلس الشرقى المعروف بالمؤنس بمدينة الزهراء (٢).

وقد بلغ عدد سوارى الزهراء أربعة آلاف سارية، مابين كبيرة وصغيرة منها ألف سارية وثلاثة عشر سارية مجلوبة من إفريقية، وتسع عشرة سارية من بلاد الفرنج، ثم المائة والأربعين التى أرسلها الامبراطور البيزنطى هدية منه للعاهل الأندلسى (٣).

ومن المعروف أن الأسقف ربيع بن زيد أو «ريشموندو Recemundo» كان عالماً باللغتين العربية واللاتينية ، فضلاً عما كان يتمتع به من مكانه علمية عند الخليفة الناصر(٤)، وقد عاصر هذا الأسقف الحكم الثانى ، وألف له كتاب «الأنواء» الذى اشتهر باسم «تقويم قرطبة» وأهداه للحكم (٥).

وبعد .. فهذه دراسة حول العلاقات السياسية والحضارية بين الأندلس وبيزنطة، حاولت من خلالها إلقاء الضوء على السفارات الدبلوماسية المتبادلة بينهما ، والتى سعت إلى توثيق الصلات وتحقيق الود والتفاهم بين البلدين ، والتى حوت فيما حوت جوانب حضارية كان ارتباطها وثيقاً بالجانب السياسى، بل نؤكد أنه لو لم تكن تلك السفارات السياسية، وما ترتب عليها من علاقات الود والصداقة، ما كان يمكن الحديث عن علاقات حضارية بين الطرفين تذكر هنا أو هناك ، وهذا يؤكد العلاقة المشتركة بين الجوانب السياسية والجوانب الحضارية .

---

(١) على محمد راضى : الأندلس والناصر، ص ٧٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ .

(٣) المقرى: نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٥٦٦؛ وانظر ، : Abdurrahman A.EL-Hajji : Andalusian Diplomatic relations with the Franks during the Umayyad period, p. 29. (Islamic studies, vol VI, No. I, March 1967, pakistan) .

(٤) مؤنس : تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، ص ١٤٧ .

(٥) ريبيرا : التربية الإسلامية فى الأندلس، ص ١٩٥ .

قائمة

المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية

ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على الجزرى – ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) :

١ – الكامل فى التاريخ ، جـ٥، ٦ ، تحقيق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، طـ٥ ، ١٩٨٥م .

الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموى الحسنى – ت ٥٦٤هـ / ١١٦٩م):

١ – صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب «نزهة المشتاق فى أختراق الآفاق»، طبع ليدن ، مطبعة بريل، ١٩٦٨م .

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أحمد بن قاسم الخزرجى – ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) :

٣ – كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، جـ٢، المطبعة الوهبية بالقاهرة، ط ١ ، ١٨٨٢م .

ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان – عاش فى القرن ٤ هـ / ١٠م) :

٤ – طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة، ١٩٥٥م .

ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على – ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) :

٥ – المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، جـ ١٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٩٢ م .

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم – ت أواخر ق ٩ هـ) :

٦ – صفة جزيرة الأندلس، مأخوذة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق ليڤى بروڤنسال، بدون مكان طبع أو تاريخ .

الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله – ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) :

٧ – جذوه المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، وأسماء رواة الحديث، وأهل الفقة والأدب وذوى النباهة والشعر، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، بدون تاريخ .

ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى – ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) :

٨ – كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، بدون تاريخ

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله – ت ٣٠٠هـ / ٩١٣م) :

٩ – كتاب المسالك والممالك تحقيق دى غوية، بريل ١٨٨٩م، ومكتبة المثنى ببغداد .

ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان الدين – ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) :

١٠ – الإحاطة فى أخباء غرناطة، جـ١ ، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ط٢، ١٩٧٣م .

١١ – مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)، تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، ١٩٨٣م .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد – ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) :

١٢ – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، جـ٤، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ، ١٩٨١م .

ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسى – ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) :

١٣ – المغرب فى حلى المغرب ، جـ١، ٢، تحقيق د/ شوقى ضيف، دار المعارف بالقاهرة، ط٣، ١٩٧٨م .

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير – ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م) :

١٤ – تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨، ١٠، تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٩م .

عبد الواحد المراكشى (محيى الدين أبى محمد – ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) :

١٥ – المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجانى ، القاهرة، ١٩٩٤ م .

ابن عذارى (أبو العباسى أحمد بن محمد – كان حياً عام ٧١٢هـ / ١٣١٢م) :

١٦ – البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، جـ٢، تحقيق ج.س. كولان وليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٣م .

ابن غالب (الحافظ محمد بن أيوب) :

١٧ – قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق د/ لطفى عبد البديع (مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول، جـ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥م) .

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على – ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :

١٨ – صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، بدون تاريخ .

ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر – ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) :

١٩ – تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتب الإسلامية، القاهرة / بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ م .

ابن الكردبوس وابن شباط :

٢٠ – تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، تحقيق د/ أحمد

مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ، ١٩٧١ م .

المقرى (أحمد بن محمد التلمسانى – ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) :

٢١ – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، جـ١ ، ٣، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت . ١٩٨٨م .

مجهول :

٢٢ – أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها – رحمهم الله – والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتب الإسلامية، القاهرة / بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ م .

ثانيا : المراجع العربية والمعربة

أحمد فكرى (دكتور) :

١ – قرطبة فى العصر الإسلامى، تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ١٩٨٣م .

أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم (دكتور) :

٢ – تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط، جـ٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ .

أرشيبالدلويس :

٣ – القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ – ١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ .

السيد الباز العرينى (دكتور) :

٤ – الدولة البيزنطية (٣٢٣ – ١٠٨١م) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م .

السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :

٥ – تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، بدون تاريخ ،

٦ – البحرية المصرية فى العصر الفاطمى (بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار، ق١، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١ ، ١٩٩١م) .

٧ – فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥م .

٨ – معالم قرطبة فى شعر ابن زيدون (بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار، ق٢، دار الغرب الإسلامى، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م) .

حسن محمود وأحمد الشريف (دكتور) :

٩ – العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، القاهرة، ط٥، بدون تاريخ .

حسين مؤنس (دكتور) :

١٠ – تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، ط١ ، ١٩٩١ م .

خوليان ريبيرا :

١١ – التربية الإسلامية فى الأندلس، أصولها الشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة د/ الطاهر أحمد مكى، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨١م .

ساليفان (د.أ) :

١٢ – ورثة الامبراطورية الرومانية (الغرب الجرمانى – العالم الإسلامى – الدولة البيزنطية) ، ترجمة وتقديم د/ جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٥م.

ستيفن رنسيمان :

١٣ – الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١ م .

سيد أمير على :

١٤ – مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.

على محمد راضى :

١٥ – الأندلس والناصر، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٩٦٧م .

فشر (هـ. أ. ل) :

١٦ – تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى، دار المعارف بمصر، ط٦، ١٩٧٦م .

كارل بروكلمان :

١٧ – تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨م .

ليفى بروفنسال :

١٨ – الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م .

١٩ – حضارة العرب فى الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت ، بدون تاريخ .

محمد أحمد أبو الفضل (دكتور) :

٢٠ – حول السفارات الأندلسية إلى دول أوربا (١٣٨ – ٣٦٦هـ / ٧٥٥ – ٩٧٦م) – مجلة كلية الاداب / جامعة الإسكندرية ، المجلد ٣٢ لسنة ٨٣ / ١٩٨٤م .

محمد عبد الله عنان :
٢١ – تاريخ العرب فى إسبانيا أو تاريخ الأندلس، مطبعة السعادة، القاهرة ، ط١ ، ١٩٢٤ م.
٢٢ – تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ط٢، ١٩٧٠م .
موريس كين :
٢٣ – حضارة أوربا العصور الوسطى، ترجمة د/قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط١، ١٩٩٤م .
هايد (ف) :
٢٤ – تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، جـ١، ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م / ١٩٩٤م .

ثالثا : المراجع الأجنبية

Balbás (Leopoldo Torres) :
1 - Almeria Islámica. (AL-Andalus, vol XXII, 1957)
2 - Extension y demografia de las Ciudades hispanomuslmanas (studia I slamica, vol III , 1955) .
3 - La Medina, los Arrabales y los barrios, (AL-Andalus, vol XVII, 1952) .
Bernard (lewis) :
4 - The Arabs in history, London , 1950 .
Bury (J.B.) :
5 - A History of the Eastern Roman Empire, London , 1912 .
Dozy (R.) :
6 - Histoire des Musulmans d'Espagne, tomo II, 1930 .
EL - Hajji (Abdurrahman A.) :
7 - Andalusian Diplomatic relations with the Franks during the umayyad period, I slamic studies , vol VI No. I, March , 1967, pakistan .
Forman (Charles c.) :
8 - Cordova under Abd Al-Rahman III. (The Islamic Review, England, vol XIIXX, February, No. 2, 1961) .
Heyd(W.) :
9 - Histoire du Commerce de levant au Moyen age, volume II, 1967.
Jenkins (R.) :
10 - Byzantium the Imperial centuries, 610- 1071 A.D., London , 1966.
Lane - poole (stanly) :
11 - The Moors in Spain, London .
Ostrogorowski (G.) :
12 - History of the Byzantine state, Trans, Joan Hussey, Oxford, 1956.
provençal (Lévi) :
13 - Histoire de L'Espagne Musulmane . tome I, Paris, Leiden, 1950 .
14 - L'Espagne musulmane Au X siecle , institutions et vie social, Paris, 1932 .